

المبحث الخامس

أعمال الملائكة:

للملائكة أعمال مكلفون بها، بعضها يتعلق بالإنسان بدءاً بمولده، وحتى آخر مراحل حياته الأخروية، وأخرى تتصل بالكون وما فيه من أحداث ووقائع.

أولاً: أعمال الملائكة المتعلقة ببني آدم:

للملائكة صلة بالإنسان قبل مولده وأثناء حياته الدنيا، وفي حياته البرزخية وفي الحياة الآخرة ولهم في كل من تلك المراحل أعمال يقومون بها، ومن تلك الأعمال ما يلي⁽¹⁾:

1 - نفض الأرواح في الأجنة:

وكتابة مستقبل تلك الأجنة من حيث أعمالها وأجالها وأرزاقها وسعادتها وشقاوتها، كل ذلك والأجنة في بطون أمهاتها⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ

(1) العقيدة الإسلامية، د. أحمد محمد جلي، ص: 173.

(2) المصدر نفسه، ص: 173.

وَعَبْرٍ مُخْلَقَةٍ لِنَسَبِنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِنَّكَ أَجَلٌ مُسَمًّى
ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِنَبْلُغُنَّ أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَن يُؤَفِّقُ وَمِنْكُمْ
مَن يُرَدِّدُ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى
الْأَرْضَ هَامِئَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ
زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ [الحج: 5] .

هذه هي أطوار الإنسان التي مر بها في حياته منذ خلق أبيه آدم من تراب إلى خلقه هو من ماء مهين، ومنذ أن نزل في رحم أمه نطفة إلى أن تطور فصار علقة ثم مضغة وهو في هذا كله ضعيف جداً لولا حفظ الله له لهلك مذ كان نطفة، ولكن الله ﷻ رحمه وحماه ووكل به ملكاً يحوطه ويرعاه وهو لا يقدر على شيء من أمر نفسه ولا يدري أحي هو أم ميت أذكر هو أم أنثى أشقي أم سعيد⁽¹⁾.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: «إن أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً، فيؤمر بأربعة: برزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فوالله إن أحدكم أو الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو باع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»⁽²⁾.

(1) في الملائكة المقربين، ص: 186.

(2) البخاري، ك القدر رقم 6594.

2 - مراقبتهم الإنسان وكتابة أعماله وإحصاؤه عليه :

قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: 80] .

وقال تعالى: ﴿وإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٧﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١٨﴾ يَعْمَلُونَ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار : 10 . 12].

وقد أجمع السلف الصالح على أن الذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي عن شماله يكتب السيئات⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتْلَىٰ التَّلْقِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قِيدَ ﴿٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [ق: 17 . 18].

إذ يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فالذي عن يمينه يكتب الحسنات والذي عن شماله يكتب السيئات⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَدْفَنَّا أَنفُسَ النَّاسِ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ صَرَخِهِمْ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يونس: 21] .

وقال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّيْتُ ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي

(1) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (1/ 336).

(2) معالم التنزيل للبغوي (4/ 222).

رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٢٥﴾ [الجاثية: 29 . 30].

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلِبَتَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: 13-14].

فهذه النصوص وغيرها تدل على أن الكرام الكاتبين من الملائكة ملازمون للإنسان ليله ونهاره وأنهم يكتبون أقواله وأعماله القلبية والظاهرة كتابة حقيقية في كتب حقيقية⁽¹⁾.

والحكمة من كتابة الأعمال مع علم الله بكل ما يقع؛ إظهار عدل الله ﷻ وإقامة للحجة القاطعة لكل شبهة قد يعتذر بها العاصي يوم القيامة. وقد جاء في الحديث الصحيح عن سعد بن عبادَةَ ؓ قال: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش، ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين ولا أحد أحب إليه المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الله الجنة»⁽²⁾، ولذلك يؤمر الإنسان بقراءة كتابه ومحاسبة نفسه يوم القيامة كما قال: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: 14].

قال الحسن البصري: يابن آدم بسطت لك صحيفتك ووكل

(1) في الملائكة المقربين، ص: 167.

(2) مسلم رقم 1499.

بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة كتاباً تلقاه منشوراً. اقرأ كتابك فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك⁽¹⁾.

وفي حديث صاحب البطاقة المشهور قال رسول الله ﷺ: «إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً لكل سجل مد البصر ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمت كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب. فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك، فتخرج بطاقة فيها "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله" فيقول: أحضره، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم. قال: فنوضع السجلات في كفة قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم»⁽²⁾.

أ - ماذا تكتب الملائكة :

الذي نلت عليه النصوص أن الملائكة تكتب كل ما صدر عن الإنسان من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة كتابة تفصيلية لا إجمالية :

قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ

وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿۝﴾ [القمر: 52 . 53].

(1) تفسير ابن جرير (26/ 159) في الملائكة المقربين، ص: 168.

(2) سنن الترمذي، رقم 2641 حديث حسن غريب.

- وقال تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٨١﴾﴾ [الكهف: 49].

- وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِنًا يَبْغِطُ الْكُفَّارُ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: 120 . 121].

- وقال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: 7 - 8].

وقال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج عامداً إلى الصلاة فإنه في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة وإنه يكتب له بإحدى خطوطه حسنة ويمحى عنه بالآخرى سيئة فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا يسرع فإن أعظمكم أجراً أبعدكم داراً»، قالوا: لم يا أبا هريرة؟ قال: من أجل كثرة الخطأ⁽¹⁾.

وعن جابر بن عبد الله قال: خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو مسلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لهم:

(1) مسلم رقم 656 (1/462).

«بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟» قالوا: نعم يا رسول الله، قد أردنا ذلك، فقال: «يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم». فقالوا: ما يسرنا أنا كنا تحولنا⁽¹⁾.

والنصوص في هذا المعنى كثيرة وهي تفيد أن الأعمال صغیرها وكبیرها تكتب في صحائف يلقاها ابن آدم يوم القيامة⁽²⁾.

وعن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه»⁽³⁾.

وثبت أن أعمال القلوب تكتب كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينٍ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: 10].

ولفظ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ يشعر أن الله تعالى قد أعطى الملائكة قدرة على العلم بما في قلب العبد. وزوي عن الحسن رضي الله عنه أنه قال: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم⁽⁴⁾.

وقال ابن أبي العز الحنفي: قد ثبت بالنصوص أن الملائكة تكتب القول والفعل وكذلك النية لأنها فعل القلب فدخلت في عموم ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾⁽⁵⁾.

(1) مسلم (1/ 462) رقم 656.

(2) في الملائكة المقربين، ص: 174.

(3) صحيح الجامع (2/ 63) رقم 1615.

(4) تفسير القرطبي (19/ 248).

(5) شرح العقيدة الطحاوية، ص: 442.

وقد ورد في السنة ما يدل على علم الملائكة بفعل القلب بها وبهمه وإرادته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشرًا»⁽¹⁾.

والخلاصة أن الكرام الكاتبين قد هيأهم الله وأعدهم لكتابتها كل ما صدر عن الإنسان من قول وفعل ظاهر وباطن، ودلت النصوص كذلك على أن الملائكة تكتب للإنسان بعد وفاته الأعمال التي تسبب بها في حياته من خير وشر⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾﴾ [يس: 12].

وهذا يدل على أن الملائكة تكتب أعمال الإنسان الذي عملها في حياته والأعمال التي تسبب بها في حياته بعد موته سواء كانت من عمله أو من عمل غيره ما دام تسبب بها أو دعا إليها ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتل نفساً ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل أولاً»⁽³⁾.

(1) فتح الباري على صحيح البخاري (13/ 264).

(2) في الملائكة المقربين، ص: 175.

(3) البخاري رقم 6890، مسلم رقم 1677.

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم الصوف فرأى سوء حالهم، قد أصابتهم حاجة، فحث الناس على الصدقة فأبطؤوا عنه حتى روي ذلك في وجهه. قال: ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصرة ورق ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء»⁽¹⁾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: من علم ينتفع به من بعده، أو ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده»⁽²⁾.

ب - الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة ونحوها:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة»⁽³⁾.

وقد أجاب عن ذلك الخطابي بقوله: يريد الملائكة الذين ينزلون بالبركة والرحمة دون الملائكة الذين هم الحفظة فإنهم لا يفارقونه⁽⁴⁾.

والمقصود: إن الحديث محمول على أنهم لا يدخلون بيتاً فيه

(1) مسلم (4/ 2059) رقم 1017.

(2) مسلم (3/ 1255) رقم 1631.

(3) البخاري (3/ 1179) رقم 2053.

(4) معالم السنن للخطابي (1/ 75).

شيء من ذلك دخول إكرام لصاحبه ودعاء له وتبريك عليه، ولا يمنع ذلك من دخولهم لكتابة الأعمال وقبض الأرواح ومثل هذا غير مستكر بيننا فإن فساد صاحب المنزل يمنع من دخول صلحاء الناس منزله دخول إكرام ولا يمنعهم أن يدخلوه دخول إنكار⁽¹⁾.

والخلاصة: أن الملائكة الكتبة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ملازمون للإنسان يكتبون ما صدر عنه وقد أعدهم الله لذلك وأعطاهم من الوسائل والصفات ما يستطيعون به تنفيذ أمر الله لهم بدون أدنى عناء ومشقة⁽²⁾.

3 - حفظ بني آدم:

قال تعالى: ﴿لَهُمْ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّكَ إِلَهُكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومُ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: 11].

أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحوادث، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فائنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة بالليل بدلاً، حافظان وكاتبان، كما جاء في الصحيح يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة

(1) فتح الباري (10/ 380. 382)، في الملائكة المقربين، ص: 178.

(2) في الملائكة المقربين، ص: 179.

الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتكم عبادي؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون⁽¹⁾.

وروى عن بعض أهل العلم: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ [الأنعام: 61].

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ أي: وهو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي: من الملائكة يحفظون بدن الإنسان⁽³⁾.

وقال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: 4] أي: حافظ يحرسها من الآفات⁽⁴⁾.

وقد بين النبي ﷺ بعض الأذكار التي تحفظ الملائكة من قالها في يومه ذاك أو في موضعه الذي قالها فيه فمن ذلك:

(1) صحيح تفسير ابن كثير (2/ 493)، البخاري رقم 555.

(2) صحيح تفسير ابن كثير (2/ 493).

(3) المصدر نفسه (2/ 27).

(4) المصدر نفسه (4/ 625).

أ - آية الكرسي: فقد صح عن النبي ﷺ أن من قرأها وكل الله به ملك يحوطه كما في حديث أبي هريرة ؓ قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. فقصر الحديث. وفيه فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير. فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليل يا أبا هريرة؟» قال: لا، قال: «ذاك شيطان»⁽¹⁾.

ب - قراءة أواخر سورة البقرة:

عن أبي مسعود الأنصاري ؓ قال: قال النبي ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»⁽²⁾.

قال النووي: اختلف العلماء في معنى ﴿كفتاه﴾ فقيل: من الآفات في ليلته. وقيل: كفتاه من قيام ليلته، فقلت: أي النووي: ويجوز أن يراد الأمران⁽³⁾.

ج . قراءة قل هو الله أحد والمعوذتين ثلاث مرات:

عن عبد الله بن خبيب ؓ قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب النبي ﷺ ليصلي لنا فأدركناه فقال: «قل»، فلم أقل

(1) البخاري رقم 2187.

(2) فتح الباري على صحيح البخاري (9/ 55).

(3) الفتح (9/ 56).

شيئاً، ثم قال: «قل»، فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قل»، فقلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تسمي، وحين تصبح ثلاث مرات يكفيك من كل شيء»⁽¹⁾.

د. قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له:

قال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر منه»⁽²⁾.

4. ملازمته ودعوته للخير:

وممن هو ملازم للإنسان من الملائكة القرين، وهذا من أعظم نعم الله على الإنسان والله الحمد والمنة فقد يسر الله لكل إنسان ملك يدعوه إلى الخير ويحثه عليه ويخوفه من الشر ويحذره.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: 23].
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة»، قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: «وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»⁽³⁾.

(1) صحيح الجامع (4/ 141) رقم 4282.

(2) البخاري (5/ 2351) رقم 6040.

(3) مسلم (4/ 2168) رقم 2814.

وقد وضع النبي ﷺ عمل هذين القرينين للإنسان وطريقة السلامة من الشيطان في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أوى الرجل إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان، فيقول الملك: اختم بخير، ويقول الشيطان: اختم بشر، فإن ذكر الله ثم نام بات الملك يكلؤه، فإذا استيقظ قال الملك: افتح بخير، وقال الشيطان: افتح بشر، فإن قال الحمد لله الذي يممسك السماوات والأرض أن تزولا إلى آخر، الحمد الذي يممسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، فإن وقع من سريره فمات دخل الجنة»⁽¹⁾.

وقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً . ما يوضح هذا الأمر وفيه: إن للشيطان لمة، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فيعيد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فيعيد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان، ثم قرأ: ﴿الْشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ [البقرة: 268]⁽²⁾.

يقول ابن القيم: وإذا تأملت حال القلب مع الملك والشيطان رأيت أعجب العجائب، فهذا يلتم به مرة وهذا يلتم به مرة فإذا ألم به الملك حدث من لمتة الانفساح والانشراح والنور، والرحمة، والإخلاص، والإنابة، ومحبة الله، وإيثاره على ما سواه، وقصر الأمل، والتجافي عن دار البلاء، والامتحان والغرور، فلو دامت له تلك الحالة لكان في أهنأ عيش وألذه وأطيبه، ولكن تأتيه لمة

(1) مسند أبو يعلى الموصلي (3/ 326) رجاله رجال الصحيح عدا إبراهيم بن الحجاج السامي وهو ثقة.

(2) مسند أبو يعلى الموصلي (8/ 417) رقم 4999، في الملائكة المقربين، ص: 184، تفسير الطبري (5/ 572.575) تحقيق أحمد شاكر.

الشیطان فتحدث له من الضيق، والظلمة، والهجم، والغم، والخوف، والسخط المقدور، والشك في الحق، والحرص على الدنيا وعاجلها، والغفلة عن الله...

ثم للناس مراتب في هذه المحنة لا يحصيها إلا الله، فمنهم من تكن لمة الملك أغلب من لمة الشيطان وأقوى، فإذا ألم به الشيطان وجد من الألم والضيق والحصص، وسوء الحال بحسب ما عنده من حياة القلب، فيبادر إلى طرد تلك اللمة ولا يدعها تستحكم فيصعب تداركها، فهو دائماً في حرب بين اللمتين، يدل له مرة، ويدال عليه مرة أخرى والعاقبة للتقوى⁽¹⁾.

وليس شيء أنفع للعبد من صحبة الملك له، وهو وليه في يقظته ومنامه، وحياته وعند موته، وفي قبره، ومؤنسه في وحشته، وصاحبه في خلوته، ومحدثه في سرّه، ويحارب عنه عدوه، ويدافع عنه، ويعينه عليه ويعده بالخير، ويبشره به ويحثه على التصديق بالحق وإذ اشتد قرب الملك من العبد تكلم على لسانه، وألقى على لسانه القول السديد، وإذا بعد منه وقرب الشيطان من العبد، تكلم على لسانه قول الزور والفحش حتى يرى الرجل يتكلم على لسان الملك، والرجل يتكلم على لسان الشيطان⁽²⁾.

وذكر ابن القيم أن العبد يصحب الملك ويدنيه منه إن هو اشتغل بالإيمان والعبادة للرحمن، ويطرده منه ويقسيه إن اشتغل بالذنوب والمعاصي وفي ذلك يقول: من عقوبة المعاصي أنها تباعد

(1) الإيمان بالملائكة الأطهار، للأشقر، من ابن القيم، ص: 59.

(2) المصدر نفسه، ص: 56.

عن العبد وليه، وأنصح الخلق له، وأنفعهم له، ومن سعاده في قربه منه، وهو الملك الموكل به، وتدني منه عدوه وأخشى الخلق، وأعظمهم ضرراً له، وهو الشيطان فإن العبد إذا عصى الله تباعد منه الملك بقدر تلك المعصية، حتى أنه يتباعد منه بالكذبة الواحدة مسافة بعيدة... فإذا كان هذا تباعد الملك منه من كذبة واحدة، فماذا يكون قدر تباعده منه مما هو أكبر من ذلك وأفحش منه⁽¹⁾.

5. السفارة بين الله وبين عباده من بني آدم:

من أهم الوظائف المنوطة بالملائكة هو قيامهم بتبليغ الوحي إلى أنبياء الله، ورسله، فالملائكة واسطة بين الله تعالى وبين الرسل في تبليغ الوحي والشرائع، ويكون الملك واسطة بين الرسول وبين ربه، والرسول واسطة بين الملك وقومه، وما يؤديه الملك إلى الرسول ليؤديه الرسول إلى قومه ضربان: قرآن ووحى⁽²⁾، فقد اصطفى الله ﷺ من بني آدم أفراداً شرفهم بنبوته ورسالته وأرسل إليهم ملائكة منه يبلغونهم أوامر الله ﷻ دينه، وهؤلاء المصطفون هم الأنبياء والرسل. عليهم الصلاة والسلام. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۗ وَرُسُلًا قَدْ فَصَّصْنَا عَنْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۗ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۗ ﴿١١٦﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ

(1) الإيمان بالملائكة الأطهار، للأشقر، من ابن القيم، ص: 58.

(2) معارج القبول للحكمي (2 / 78)، الرسل والرسالات للأشقر، ص: 63.

عَزِيْزًا حَكِيْمًا ﴿ [النساء: 163-165].

وقد ذكر الله ﷻ المقامات التي يوحى بها إلى عباده فقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ [الشورى: 51 . 53].

قال ابن كثير: هذه مقامات الوحي إلى جناب الله ﷻ وهو أنه تبارك وتعالى: تارة يقذف في روع النبي ﷺ شيئاً لا يتمارى أنه من الله ﷻ أو من وراء حجاب كما كلم موسى . عليه الصلاة والسلام .: أو يرسل رسولاً كما ينزل جبريل، عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والذي يهمنا في هذا المبحث المقام الثالث، وهو الوحي بواسطة الملك⁽¹⁾.

فقد أثبتت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن جبريل ﷺ هو الذي ينزل بالوحي من الله تعالى للأنبياء والرسل، فكان الوساطة بين الله تعالى ورسله⁽²⁾.

* . الأدلة من الكتاب العزيز:

(1) في الملائكة المقربين، ص: 162 تفسير ابن كثير (4 / 122).

(2) الوساطة بين الله وخلقه، ص: 112.

أ - قال تعالى: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: 193 - 194].

ب - قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَتْ عِدْوًا لِحَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة: 97].

ج - وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [النحل: 102].

د - وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَدَدَّنَا ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم، : 3 - 10]، وأخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه بالوحي يحرك لسانه وشفته فيشتد عليه، فكان ذلك يعرف منه فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٢﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحْ تُرْبَةً لَهُ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة، آية: 16 - 18] فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله ⁽¹⁾.

هـ - وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلٌ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير: 19 - 23] ⁽²⁾.

(1) البخاري، ك بدء الوحي (1 / 29).

(2) الوساطة بين الله وخلقه، ص: 124.

* وقد كان نزول جبريل ﷺ على النبي ﷺ على أشكال:

أ - فمن تلك الأشكال:

أنه كان يأتيه على صورة غير مرئية ويقع كلامه على قلب النبي، فيعي ما يقول ولا يرى الصحابة جبريل ﷺ والحالة هذه، ولكن تظهر لهم علامات تدل على أن النبي ﷺ يوحى إليه ومن هذه العلامات:

- خروج العرق من جسمه الشريف ﷺ في اليوم البارد، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: "إن كان يُنزل على رسول الله ﷺ في الغداة الباردة ثم تفيض جبهته عرقاً" (1).

- تغير وجهه الشريف ففي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كان نبي الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي كرب (2) لذلك وتريد (3) وجهه (4).

- ثقل جسمه الشريف ﷺ فعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: إني لأخذه بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ إذا أنزلت عليه المائدة كلها، فكادت من ثقلها تدق عضد الناقة (5).

وروى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال:

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (15 / 86).

(2) كرب: أصابه الكرب من شدة الوحي.

(3) ترديد وجخخ: تغير إلى الغبرة.

(4) شرح النووي على صحيح مسلم (15 / 88).

(5) فتح الباري (1 / 21).

أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترضى⁽¹⁾، فخذي⁽²⁾.

ب - وقد يراه على صورته التي خلق عليها:

وقد ثبت أنه ﷺ رأى جبريل على صورته التي خلق عليها مرتين، فقد روى مسلم بسنده عن عائشة ؓ قالت: إن النبي ﷺ لم ير جبريل في صورته التي خلق عليها إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى ومرة في جياذ⁽³⁾ له ستمائة جناح قد سد الأفق⁽⁴⁾.

ج . وقد يتمثل جبريل للنبي ﷺ في صورة رجل فيكلمه بالوحي ومن ذلك:

. تمثل جبريل ؑ بصورة الصحابي دحية بن خليفة الكلبي ؓ وكان معروفاً بجماله، فقد روى الإمام أحمد عن ابن عمر ؓ قال: كان جبريل ؑ يأتي النبي ﷺ في صورة دحية⁽⁵⁾.

. وقد يأتيه على صورة رجل غير معروف ومن ذلك ما ثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب ؓ قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا

(1) الرضى: الكسر، مختار الصحاح، ص: 245.

(2) البخاري، ك الصلاة (1 / 478) رقم 12.

(3) جياذ: يقال له أجياد واد بمكة.

(4) فتح الباري (1 / 3).

(5) مسند أحمد (8 / 132) صححه محقق المسند.

أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبته إلى ركبته، ووضع كفيه على فخذه وساق عمر الحديث إلى أن قال في آخره: ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال لي: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»⁽¹⁾.

وقد جمع النبي ﷺ بين الشكلين «أ» و «ج»⁽²⁾.

في قوله: أحياناً يأتيني مثل صلصة⁽³⁾ الجرس وهو أشده علي فيفصم⁽⁴⁾ عني وقد وعيت ما قال: وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول⁽⁵⁾.

. وأخبرنا القرآن الكريم، أن الله ﷻ أرسل بعض الملائكة المقربين، واسطة منه تعالى إلى أشخاص من البشر ليسوا بأنبياء، تشريفاً لهم وتكريماً، وأن أولئك الملائكة ﷻ جاءت وساطتهم بالبشارة والندارة والابتلاء لهؤلاء الأشخاص ونريد أن نبين تلك الوساطات في النقاط الآتية:

أ - سارة زوجة إبراهيم ﷺ:

لما ذكر الله تعالى قصة ملائكته الذين أرسلهم إلى إبراهيم ﷺ ذكر في أثنائها أنهم خاطبوا زوجته سارة، وبشروها بولدها

- (1) مسلم، ك: الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان.
- (2) وهما مجيء جبريل في صورة غير مرئية ومعينة في صورة رجل.
- (3) الصلصة: الصوت.
- (4) فيفصم: الفصم: القطع، النهاية في غريب الحديث (3/ 452).
- (5) فتح الباري (1/ 18) رقم 2.

إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، وذلك في آيتين من كتاب الله العزيز.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْرًا لُّوطٍ ﴿٧٦﴾ وَأَنرَأْتُمْ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِهِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧٦﴾ قَالَتْ يَتُوبَلَىٰ أَلَا يَأْتِ الْوَعْدَ الْوَعْدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٧﴾ [هود: 70-73].

وقال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٧٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَغٍ فَلَمَّكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٧٩﴾ [الذاريات: 28-30].

فتبين من هاتين الآيتين أن الله تعالى أوحى إلى سارة بواسطة هؤلاء الملائكة الذين بشروها بأنها ستلد إسحاق رغم كبر سنهما، وشيخوخة بعلها، وأن إسحاق سيولد له ولد يسمى يعقوب⁽¹⁾.

ب - مريم ابنة عمران عليها السلام:

اقتضت حكمة الله ﷻ أن يولد عيسى ابن مريم عليها السلام من أم دون أب، ليكون ذلك دليلاً مشاهداً على عظم قدرة الله ﷻ، ولما كانت مريم هي الأم التي قدر الله ولادتها لهذا النبي الوجيه أرسل

(1) الوساطة بين الله وخلقه، ص: 127.

إليها الملائكة مراراً، وقد بينت آيات القرآن الكريم ذلك في عدة مواضع، فمن تلك الآيات:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران: 42 . 43].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: 45-47].

وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ قَالَتْ إِنَّهُ فَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَفِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَهَا آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم: 17 . 21].

فثبت من هذه الآيات أن الملائكة أوحى إلى مريم ثلاث مرات، واسطة بينها وبين الله تعالى، وفي بعض هذه المرات كانت الوساطة جمعاً من الملائكة بصيغة العموم، وفي المرة الثالثة في سورة مريم كان الوساطة هو جبريل عليه السلام، حيث تمثل لمريم على صورة رجل تام الخلقة وأخبرها أنه رسول من عند الله تعالى، ليهب لها غلاماً زكياً⁽¹⁾.

(1) الوساطة بين الله وخلقه، ص: 128.

ولا يفهم من وحي الله إلى كل من سارة ومريم، بواسطة الملائكة أنه توجد نبيه من النساء، لأن النبوة لا تثبت لأحد من البشر إلا بدليل، ولا يوجد دليل على نبوة واحدة من النساء، بل القرآن قصر الرسالة على الرجال دون النساء.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: 7] وهذا قول جمهور أهل العلم وهو الراجح⁽¹⁾.

ج . الملك الذي أرسله الله إلى الرجل الذي زار أخاه في الله :

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : «أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته⁽²⁾ ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تُرَبُّها⁽³⁾، قال: لا، غير أنني أحببته في الله صلى الله عليه وسلم، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحبته»⁽⁴⁾.

فثبت بهذا الحديث أن الله تعالى قد أرسل ملكاً من ملائكته واسطة بينه وبين هذا الرجل الصالح ليعلمه فضل الحب في الله تعالى، ومنزلة المتحابين فيه.

(1) شرح النووي لصحيح مسلم (15 / 198).

(2) المدرجة: الطريق.

(3) تربها: تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك.

(4) مسلم شرح النووي (16 / 124).

د . الملك الذي بعثه الله إلى الأبرص والأقرب والأعمى في بني إسرائيل لابتلائهم .

وقد مرّ الحديث معنا مفصلاً، فقد دل هذا الحديث على أن الله تعالى قد بعث ملكاً من ملائكته واسطة بينه وبين هؤلاء الثلاثة نفر من بني إسرائيل لابتلائهم، وامتحانهم، وأنه أتاهم على صورة رجل من البشر⁽¹⁾.

6 - تثبيت المؤمنين وقتالهم معهم:

كما حصل في عدد من الغزوات، فقد شاركوا في قتال المشركين في بدر، والأحزاب وقريظة وغيرها، وقد سجل القرآن الكريم بعض تلك المشاركات، ليبين لهم عظيم نعمته على عباده المؤمنين من نصرتهم وتأييده سبحانه وتعالى لهم⁽²⁾:

أ - في غزوة بدر:

ثبت في نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، ومرويات عدد من الصحابة البدرين: أن الله تعالى ألقى في قلوب الذين كفروا الرعب، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12].

. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ رَجُلًا بِثَلَاثَةِ

(1) الواسطة بين الله وخلقه، ص: 130.

(2) العقيدة الإسلامية، د. أحمد جلي، ص: 174.

ءَالْفِ مِنّ الْمَلٰٓئِكَةِ مُزَلِّينَ ﴿١٢٢﴾ بَلَىٰٓ اِنْ نَّصِرُوْا وَتَّقُوْا وَتَقُوْا وَاٰتُوْكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هٰذَا يُدٰدِكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالْفِ مِنّ الْمَلٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِيْنَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ اِلَّا بُشْرٰى لَكُمْ وَلِتَطْمَٔنَّ قُلُوْبُكُمْ بِهٖ وَمَا النَّصْرُ اِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ الْعَلِيْمِ الْحَكِيْمِ ﴿آل عمران: 123-126﴾.

وقد أشارت الأحاديث الصحيحة إلى مشاركة الملائكة في معركة بدر، وقيامهم بضرب المشركين، وقتلهم⁽¹⁾، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم⁽²⁾، فنظر إلى المشرك أمامه فخرّ مستلقياً فنظر إليه فإذا هو حُطِمَ أنفه، وشق وجهه كضربة السوط، فاحضرّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدث بذلك رسول الله، فقال: «صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة»⁽³⁾، ومن حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أيضاً. قال: إن النبي صلى الله عليه وآله قال يوم بدر: «هذا جبريل أخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب»⁽⁴⁾، ومن حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً، فقال يالعباس: يا رسول الله، إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح⁽⁵⁾، من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق⁽⁶⁾، وما أراه

(1) السيرة النبوية للصلابي (1/ 711).

(2) المصدر نفسه (1/ 712) حيزوم: اسم الفرس الذي يركبه الملك.

(3) السيرة النبوية للصلابي (1/ 712).

(4) البخاري رقم 3995.

(5) أجلح: الذي انحسر شعره من جانبيه.

(6) الأبلق: الذي ارتفع التحجيل إلى فخذيه.

في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، فقال: «اسكت فقد أيدك الله بملك كريم»⁽¹⁾، ومن حديث أبي داود المازني قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قتله غيري⁽²⁾.

وقد بوب البخاري باب شهود الملائكة بدرأ، وساق بسنده حديث رفاعة بن رافع قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: «من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها»، قال: وكذلك من شهد بدرأ من الملائكة⁽³⁾.

إن إمداد الله تعالى للمؤمنين بالملائكة أمر قطعي ثابت، لا شك فيه، وإن الحكمة من هذا الإمداد تحصيل ما يكون سبباً لانتصار المسلمين، وهذا ما حصل نزول الملائكة، فقد قاموا بكل ما يمكن أن يكون سبباً لنصر المسلمين، من تبشيرهم بالنصر، من تثبيتهم بما ألقوه في قلوبهم، من بواعث الأمل في نصرهم، والنشاط في قتالهم، وبما أظهروه لهم من أنهم معانون من الله تعالى، وأيضاً بما قام به بعضهم من الاشتراك الفعلي في القتال، ولا شك أن هذا الاشتراك الفعلي في القتال قوى قلوبهم وثبتهم في القتال، وهذا ما دلت عليه الآيات وصرحت به الأحاديث النبوية⁽⁴⁾.

وقد يسأل سائل: ما الحكمة في إمداد المسلمين بالملائكة،

- (1) مسند أحمد (1 / 117).
- (2) مسند أحمد (5 / 450) سيرة ابن هشام (2 / 286).
- (3) البخاري فتح الباري (7 / 311.312).
- (4) المستفاد من قصص القرآن، د. عبد الكريم زيدان (2 / 131.132).

مع أن واحداً من الملائكة . جبريل عليه السلام . قادر بتوفيق الله على إبادة الكفار؟

وقد أجاب الدكتور عبد الكريم زيدان على ذلك، فقال: لقد مضت سنة الله بتدافع الحق وأهله مع الباطل وأهله، وأن الغلبة تكون وفقاً لسنن الله في الغلبة والانتصار، وأن هذا التدافع يقع في الأصل بين أهل الجانبين الحق والباطل، ومن ثمرات التمسك بالحق والقيام بمتطلباته أن يحصلوا على عون وتأييد من الله تعالى بأشكال وأنواع متعددة في التأييد والعون، ولكن تبقى المدافعة، والتدافع يجريان وفقاً لسنن الله فيهما، وفي نتيجة التدافع فالجهة الأقوى بكل معاني القوة اللازمة للغلبة هي التي تغلب، فالإمداد بالملائكة هو بعض ثمرات إيمان تلك العصبة المجاهدة، ذلك الإمداد الذي تحقق به ما يستلزم الغلبة على العدو، ولكن بقيت الغلبة موقوفة على ما قدمه أولئك المؤمنون في القتال ومباشرة لأعمال القتال وتعرضهم للقتل، وصمودهم وثباتهم في الحرب واستدامة توكلهم على الله، واعتمادهم عليه وثقتهم عليه، وهذه معانٍ جعلها الله حسب سننه في الحياة أسباباً للغلبة والنصر مع الأسباب الأخرى المادية مثل العدة والعدد، والاستعداد للحرب، وتعلم فنونها... الخ.

ولهذا فإن الإسلام يدعو المسلمين إلى أن يباشروا بأنفسهم إزهاق الباطل، وقاتل المبطلين، ويهيئوا الأسباب المادية والإيمانية للغلبة والانتصار، وبتأييدهم . إن شاء الله تعالى . ينال المبطلون ما يستحقون من العقاب⁽¹⁾ .

قال تعالى: ﴿فَنَلُّوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخِزُّهُمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفُ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة: 14 - 15].

إن نزول الملائكة - ﷺ - من السماوات العلا إلى الأرض، لنصر المؤمنين حدث عظيم، إنه قوة عظمى وثبات راسخ للمؤمنين، حينما يؤمنون بأنهم ليسوا وحدهم في الميدان، وأنهم إذا حققوا أسباب النصر واجتنبوا موانعه، فإنهم أهلٌ لمدد السماء، وهذا الشعور يعطيهم جرأة في مقابلة الأعداء، وإن كان ذلك على سبيل المغامرة، لبعد التكافؤ المادي بين جيش الكفار الكبير عدداً، القوي إعداداً، وجيش المؤمنين القليل عدداً، الضعيف إعداداً وهو في الوقت نفسه عامل قوي في تحطيم معنوية الكفار، وزعزعة يقينهم وذلك حينما يشيع في صفوفهم احتمال تكرار نزول الملائكة، الذين شاهدتهم بعض الكفار عياناً، إنهم مهما قدروا قوة المسلمين وعددهم، فإنه سيبقى في وجدانهم رعب مزلزل من احتمال مشاركة قوى غير منظورة، لا يعلمون عددها، ولا يقدرون مدى قوتها، وقد رافق هذا الشعور المؤمنين في كل حروبهم التي خاضها الصحابة - رضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - في العهد النبوي، وفي عهد الخلافة الراشدة، كما رافق المؤمنين بعد ذلك، فكان عاملاً قوياً في انتصاراتهم المتكررة الحاسمة مع أعدائهم⁽¹⁾.

ب - الملائكة في أحد:

قال سعد بن أبي وقاص - رضِيَ اللهُ عَنْهُ -: رأيت عن يمين رسول الله ﷺ

(1) التاريخ الإسلامي (4 / 145) للحميدي.

وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض، يقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما . قبل ولا بعد . يعني . جبريل وميكائيل (1).

وهذا خاص بالدفاع عن النبي ﷺ لأن الله تكفل بعصمته من الناس، ولم يصح: أن الملائكة قاتلت في أحد سوى هذا القتال . وإن وعدهم الله أن يمدهم . لأنه جعل وعده معلقاً على ثلاث أمور: الصبر، التقوى، وإتيان الأعداء من فورهم، ولم تتحقق هذه الأمور فلم يحصل الإمداد (2).

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَ اللَّهُ رِزْقَكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [آل عمران: 124-125] (3).

ج . في الخندق:

جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم، اللهم منزل الكتاب سريع الحساب» (4)، فاستجاب الله . سبحانه . دعاء نبيه ﷺ، فأقبلت بشائر الفرج، فقد صرفهم الله بحوله وقوته، وزلزل أبدانهم،

(1) البخاري رقم 4054.

(2) السيرة النبوية الصحيحة، أكرم العمري (2 / 391).

(3) السيرة النبوية للصلاحي (2 / 149).

(4) البخاري رقم 2933.

وقلوبهم، وشتت جمعهم بالخلاف، ثم أرسل عليهم الريح الباردة الشديدة وألقى الرعب في قلوبهم وأنزل جنوداً من عنده سبحانه، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَأَنَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: 9].

فكانت هذه الريح معجزة للنبي ﷺ لأن النبي ﷺ والمسلمين كانوا قريباً منها، ولم يكن بينهم وبينها إلا عرض الخندق، وكانوا في عافية منها ولا خبير عندهم بها، وبعث الله عليهم الملائكة فخلقت الأوتداد، وقطعت أطناب الفساطيط⁽¹⁾، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيول بعضها في بعض، وأرسل الله عليهم الرعب، وكثر تكبير الملائكة في جوانب المعسكر حتى كان سيد كل خباء تقول: يا بني فلان، هلم إلي، فإذا اجتمعوا قال لهم: النجاء النجاء لما بعث الله عليهم الرعب⁽²⁾.

وبعد انتصار المسلمين وعودة النبي ﷺ من الخندق ووضعه السلاح أمر الله تعالى نبيه ﷺ بقتال بني قريظة، فأمر الحبيب ﷺ أصحابه بالتوجه إليهم، وقد أعلمهم بأن الله تعالى قد أرسل جبريل ليزلزل حصونهم، ويقذف في قلوبهم الرعب، وأوصاهم بأن: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»⁽³⁾.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع

(1) الفساطيط: نوع من الأبنية في السفر دون السراق.

(2) تفسير القرطبي (14 / 144).

(3) البخاري رقم 4119، مسلم 1770.

السلاح واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام وقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعناه فاخرج إليهم، قال: «فإلى أين؟» قال: ها هنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم (1).

وقد سجل القرآن الكريم غزوتي الأحزاب، وبني قريظة، والقرآن كعهدهنا به يسجل الخالدات التي تسع الزمان والمكان، فالمسلمون معرضون دائماً لأن يغزو في عقر دارهم وفي عواصم بلدانهم، ومعرضون بأن يتكالب عليهم الأعداء جميعاً، فإذا كان القرآن قد سجل حادثتي الأحزاب، وبني قريظة، فذلك من سمة التكرار على مدى العصور (2)، لكي يستفيد المسلمون من الدروس والعبر من الحوادث السابقة التي ذكرت في القرآن الكريم على وجه الخصوص، والذي يتدبر حديث القرآن عن غزوة الأحزاب يراه قد اهتم ببيان أمور من أهمها ما يلي:

- تذكير المؤمنين بنعم الله عليهم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الأحزاب: 9].

- التصوير البديع لما أصاب المسلمين من هم بسبب إحاطة الأحزاب بالمدينة، قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ قَوْفِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب: 10].

(1) البخاري مع الفتح (7 / 407).

(2) الأساس في السنة، سعيد حوى (2 / 662).

- الكشف عن نوايا المنافقين السيئة، وأخلاقهم الذميمة وجبنهم الخالغ، ومعاذيرهم الباطلة، ونقضهم للعهود، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝﴾ [الأحزاب: 12].

- حض المؤمنين في كل زمان ومكان على التأسي برسول الله ﷺ في أقواله، وأفعاله، وجهاده، وكل أحواله، استجابة لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝﴾ [الأحزاب: 21].

- مدح المؤمنين على مواقفهم النبيلة، وهم يواجهون جيوش الأحزاب بإيمان أذق ووفاء بعهد الله تعالى، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ۝﴾ [الأحزاب: 23].

- بيان سنة من سنن الله التي لا تتخلف، وهي جعل العاقبة للمؤمنين لأعدائهم، قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ فَوِيًّا عَزِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: 25].

- امتنانه سبحانه على عباده المؤمنين، حيث نصرهم على بني قريظة وهم في حصونهم المنيعة بدون قتال يذكر، حيث ألقى - سبحانه - الرعب في قلوبهم فنزلوا على حكم الله ورسوله ﷺ⁽¹⁾. قال

(1) حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ، د. محمد بدر آل عابد (2 / 490).

تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَنَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ [الأحزاب: 26-27].

د . الملائكة في غزوة حنين :

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْرِيثَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ [التوبة: 25 . 27].

إن غزوة حنين سُجِّلَتْ في القرآن الكريم، لكي تبقى درساً للأمة في كل زمان ومكان، ولقد عُرِضَتْ في القرآن الكريم على منهجية ربانية كان من أهم معالمها الآتي :

- بين القرآن الكريم أن المسلمين أصابهم الإعجاب بكثرة عددهم، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ ثم بين القرآن أن هذه الكثرة لا تفيد ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾.

- بين القرآن الكريم أن المسلمين انهزموا، وهربوا ما عدا النبي ﷺ ونفر يسير من أصحابه، قال تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْرِيثَ﴾.

- بين القرآن الكريم أن الله نصر رسوله ﷺ في هذه المعركة،

وأكرمه بإنزال السكينة عليه وعلى المؤمنين، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

- بين القرآن الكريم أن الله أمد نبيه محمداً ﷺ بالملائكة في حنين، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ جُودًا لَرُتْوَاهَا وَعَدَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 26] وأكد . سبحانه . على أنه يقبل التوبة من عباده، ويوفق من شاء إليها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (1).

7 - قبض الأرواح عند الموت:

ثبت في الكتاب والسنة أن الله وكل بالروح ملائكة يقبضونها عند الموت في آيات كثيرة.

أ - كيفية نزع الروح:

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٧﴾ وَأَنْتَ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٨﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصِيرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: 83 - 85].

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٧﴾﴾ أي: الروح، والحلقوم: هو الحلق، وذلك حين الاحتضار ﴿وَأَنْتَ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٨﴾﴾ أي: إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ﴿٨٩﴾﴾ أي: بملائكتنا، ﴿وَلَكِنْ لَا بُصِيرُونَ﴾ أي: ولكن لا ترونهم (2).

(1) حديث القرآن الكريم (2/ 602-603).

(2) اليوم الآخر، د. محسن المطيري، ص: 55.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ أَقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ۗ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: 61 - 62].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقَ ﴿٦١﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٦٢﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِي نَسَاؤُ بِالنَّاقِ ﴿٦٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٦٥﴾﴾ [القيامة: 26 - 30].

﴿إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقَ﴾ أي: الروح، والتراقى جمع تُرْقُوة وهي العظام المكتنفة لُقرة البحر، وهو مقدم الحلق من أعلى الصدر موضع الحشرجة، ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشفاء على الموت، مثله قوله: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٢﴾ وَقِيلَ: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقَ ﴿٦١﴾﴾ معناه أي: حقاً أن المساق إلى الله ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقَ ﴿٦١﴾﴾ أي: إذا ارتفعت الروح إلى التراقي، والمقصود تذكيرهم شدة الحال عند نزول الموت⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتُوفَّئِكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: 11] ، وقد توهم بعض الناس أن الملك الموكل بالموت وقبض الأرواح هو عزرائيل، والحقيقة أن لملك الموت أعوان على هذه المهمة فهناك النازعات والناشطات، الوارد ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ﴿١﴾﴾ وَالنَّشِطَاتِ نَسْطًا ﴿٢﴾﴾ [النازعات: 1 - 2]. وقد ورد عن جمع من

(1) الإيمان باليوم الآخر، علي الصلابي، ص: 25.

الصحابة والتابعين أن ﴿وَالنَّزِعَاتِ غَرَقًا﴾ الملائكة، يعنون حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلتة من نشاط⁽¹⁾، فيقبضون أرواح المؤمنين بيسر وسهولة ويبشرونهم بالجنة، بينما يقومون بضرب وجوه الكفرة وأدبارهم، كما يوبخون الظالمين لأنفسهم الممتنعين عن الهجرة إلى الله ورسوله⁽²⁾.

إن الإنسان إذا اقترب أجله، فإن الروح ترتقي إلى أعلى الجسم عند النحر، حتى تخرج من جسده، وهذا الخروج للروح ليس بالأمر الهين. حتى للمؤمن. بل له سكرات وغمرات ومشقات، ثم تنتزع الملائكة الروح، وهذا النزاع يختلف شدة ويُسرأ بحسب إيمان الرجل⁽³⁾.

ب - خروج روح المؤمن واحتضاره:

قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٤﴾ [يونس: 62 . 64].

وفي قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قولين:

(1) العقيدة الإسلامية، أحمد جلي، ص: 175.

(2) المصدر نفسه، ص: 175.

(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، للمطيري، ص: 58.

الأول الرؤيا الصالحة: يراها المسلم أو تُرى له⁽¹⁾.

والثاني: المراد بذلك بشري الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة ويدل على هذا حديث البراء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن إذا حضره الموت، جاءه الملائكة بيض الوجوه، بيض الثياب، فقالوا: اخرجي أيتها الروح الطيبة إلى روح وريحان ورب غير غضبان، فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السماء»⁽²⁾.

وكلا المعنيين صحيح، ولا تعارض بين هذين التفسيرين⁽³⁾.

. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا نَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣١﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: 30 - 31]، وفي قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ﴾ أي أخلصوا لله، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾ أي: على طريقة رسول الله باتباعه⁽⁴⁾.

وفي قوله: ﴿نَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يبشرون عند الموت وفي القبر، ويوم خروجهم من قبورهم⁽⁵⁾.

. وقال تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ

(1) سنن ابن ماجه رقم 3898 وسنده صحيح.

(2) مسند أحمد رقم 18534 صحيح الإسناد.

(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم، للمطيري، ص: 59.

(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/ 98).

(5) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 61.

هَذَا يَوْمِكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٣٢﴾ [الأنبياء: 103] ، وقوله ﴿أَلَا تَخَافُونَ﴾ أي: مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين، فإننا نخلفنكم فيه ﴿أَلَيْسَ كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير⁽¹⁾.

. وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَقَّعْتُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿النحل: 31-32﴾ .

يخبر الله تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون، أي: مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء، وأن الملائكة تسلّم عليهم وتبشرهم بالجنة⁽²⁾، وأن وفاتهم تكون طيبة سهلة ولا صعوبة فيها ولا ألم، بخلاف ما تقبض به روح الكافر والمُخلط⁽³⁾.

. وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٧٧﴾ أَرْجِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْتَضَةً ﴿٧٨﴾ [الفجر: 27 . 28].

وهذا يقال له عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضاً، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، فكَذَلِكَ هَاهُنَا⁽⁴⁾.

(1) تفسير البغوي (7 / 173) بتصرف.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 62.

(3) تفسير القرطبي (10 / 67).

(4) تفسير ابن كثير (4 / 510).

. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَّ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ [الواقعة: 88 . 91].

هذه الأحوال الثلاثة: هي أحوال الناس عند احتضارهم: إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى، الجاهلين بأمر الله، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ أي: المحتضر ﴿مِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ وهم من فعلوا الواجبات والمستجابات، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات، قوله ﴿فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ﴾ أي فلهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت ﴿فَرَوْحٌ﴾ راحة، أو الراحة من الدنيا، والروح: الفرح ﴿فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ﴾ جنة ورخاء ﴿فَرَوْحٌ﴾ فرحة ﴿وَرِيحَانٌ﴾ رزق. وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن مات مقرباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن⁽¹⁾.

﴿وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ أي: لا يموت أحد من الناس حتى يعلم من أهل الجنة هو أم من أهل النار⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾﴾ أي: وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين ﴿فَسَلَّ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي: تبشرهم الملائكة بذلك، وتقول لأحدهم: سلام لك،

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 64.

(2) تفسير ابن كثير (4/ 300).

أي لا بأس عليك، أنت إلى سلامة أنت من أصحاب اليمين⁽¹⁾.

ويكون السلام على المؤمنين عند ثلاثة مواضع: عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الدنيا، وعند مساءلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير، وعند بعثه في القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله إلى الجنة، ويكون ذلك إكراماً بعد إكرام⁽²⁾.

ج . خروج روح الكافر واحتضاره:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93]

قوله ﴿فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ أي: كرباته وسكراته، وقوله ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ جوابه محذوف تقديره لرأيت أمراً عظيماً، وهذه عبارة عن التعنيف في السياق والشدة وفي قبض الأرواح⁽³⁾.

وقوله ﴿بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بالضرب لهم، حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب القهار العظيم، فتفرق روحه في جسده وتتعضى، وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم: ﴿أَخْرِجُوا

(1) محاسن التأويل للقاسمي (22 / 7).

(2) تفسير القرطبي (17 / 151).

(3) التسهيل، لابن الجوزي (1 / 279).

أَنْفُسِكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ﴿١﴾ أي: كنتم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله⁽¹⁾، ثم يبشرون بالعذاب ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾.

. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِبْرًا مَّعْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان: 22] ، أي حرام ومحرم عليكم دخول الجنة⁽²⁾.

وفي حديث البراء الطويل، قال رسول الله ﷺ: «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع عن الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة، سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فيتزعاها كما يتزعا السفود من الصوف المبلول»⁽³⁾.

. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ فادخلوا أبواب جهنم خليلين فيها فليست مشوى المتكبرين ﴿٢٩﴾﴾ [النحل: 28 . 29].

. وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

-
- (1) التسهيل، لابن الجوزي (1 / 279).
 (2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 601.
 (3) مسند أحمد رقم 18013 صحيح الإسناد.

وَأَذْبَرَهُمْ ﴿٧٧﴾ [مَحْمَد: 27] ، هذه فيها التصريح بضرب وجوه الكافرين وأدبارهم عند النزع⁽¹⁾.

د . ملائكة الرحمة وملائكة العذاب :

وقد جاء أن ملائكة الرحمة وملائكة العذاب يختصمون في من لم تتضح حاله من بني آدم كل يقول أنا أقبض روحه حتى يفصل الله بينهما، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فاتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟»

انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناس يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه على الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاوسا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة، وفي رواية: فأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي⁽²⁾.

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 70.

(2) مسلم (4/ 49) رقم 2766.

والقصد أن ملائكة الموت نوعان: ملائكة رحمة وملائكة عذاب ينزلون لقبض أرواح بني آدم كل حسب عمله، فأهل الإيمان تقبض أرواحهم ملائكة الرحمة وأهل الكفر تقبض أرواحهم ملائكة العذاب⁽¹⁾.

8 سؤالهم الميت في قبره، ثم تنعيمه أو تعذيبه، بعد إعادة الروح إلى الجسد:

البرزخ: اسم ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه، وهو بين الدنيا والآخرة⁽²⁾، قال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: 99 - 100].

ومن الآيات القرآنية الدالة على عذاب القبر:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: 93].

ففي قوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ فالآية تبين حال المحتضر الكافر، وأنه تأتيه الملائكة وتخبره أنه سوف يعذب اليوم، يعني يوم موته، وهذا يدل أن العذاب يكون قبل يوم القيامة، ففي دليل واضح على عذاب القبر، ولو تأخر عنهم

(1) في الملائكة المقربين، ص: 192.

(2) تفسير القرطبي (12 / 150).

العذاب إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم ﴿الْيَوْمَ تُجْرَدُونَ عَذَابَ الْهُونِ﴾⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَكُ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: 101].

قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ المرة الأولى في الدنيا من المصائب في النفس أو المال أو الولد أو غير ذلك، وأما المرة الثانية ففي القبر، وأما عذاب الآخرة فذكره بقوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿فَوَقَدْنَا لِلَّهِ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِإِثْمِهِمْ فِرْعَوْنُ سُوًى الْعَذَابِ﴾ [١٠٦] أَلَّا تَأْتِيَهُمْ بَعْدُ وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 45-46].

وهذا النص من النصوص الصريحة في عذاب القبر، فإن هذا العذاب الذي حصل لآل فرعون إنما كان بعد موتهم، وأما عذاب الآخرة فهو المذكور بعده بقوله: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾⁽³⁾.

ولقد جاءت الأحاديث بفتنة القبر وسؤال الملكين، ومما يُستدل به من القرآن على سؤال الملكين قول الله تعالى: ﴿يُسْأَلُكَ اللَّهُ

(1) الروح، لابن القيم، ص: 132.

(2) تفسير الطبري. (14 / 441)

(3) اليوم الآخر، للصلاحي، ص: 48.

الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ
 اللَّهُ الْقَلِيلِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٧٧﴾ [إبراهيم: 27⁽¹⁾].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه يسمع قرع نعالمهم، قال: يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال: فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة. وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»⁽²⁾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبر الميت، أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر، وللآخر النكير، ويقولان ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبده ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثلهم لا أدري، فيقولان:

(1) البخاري رقم 4699، مسلم رقم 2871.

(2) البخاري رقم 1374، مسلم رقم 2870.

قد كنا نعلم أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض التثمي عليه فلتأم عليه ، فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه»⁽¹⁾.

9 . نفخهم في الصور :

عَرَفَ النبي ﷺ الصور . كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص . قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ قال : ما الصور؟ قال : «الصور قرن ينفخ فيه»⁽²⁾ ، قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوِّهٍ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الثلث : 87] ، وقد سماه الله تعالى أيضاً الناقور ، كما قال تعالى : ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي الْأَقْوَاصِ ﴿٨﴾﴾ [المدثر : 8] ، الناقور هو الصور⁽³⁾ ، فالصور والناقور اسمان لمسمى واحد.

وقد سمى الله تعالى الصوت الذي يخرج إسرافيل من الصور بأسماء هي :

- النفخة : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْعَةٌ وَجِدَّةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحاقة : 13].

- الراجفة : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾

[النازعات : 6 . 7].

- الزجرة : ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَجِدَةٌ ﴿١٩﴾﴾ [الصفات : 19] .

(1) سنن الترمذي رقم 1071 ، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 1391.

(2) أبو داود رقم 4742.

(3) فتح الباري (11 / 376).

والمشهور أن النافخ هو إسرافيل⁽¹⁾.
واختلف العلماء في عدد النفخات على أقوال:

القول الأول: أنها ثلاث نفخات، وذلك أن الله نصَّ على
هذه الثلاثة في كتابه:

نفخة الفزع: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَنْفُتِهِ فِي دَارِ
الْئِمْل: [87].

- نفخة الصعق: قال تعالى: ﴿وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَصَجِقَ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزُّمَر: 68].

- نفخت البعث: قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ
يَنْظُرُونَ﴾ [الزُّمَر: 68].

وقالوا: إن الفزع مغاير للصعق، واستدلوا بحديث الصور
الطويل، وفيه أن النفخات ثلاث⁽²⁾.

القول الثاني: أنهما نفختان: نفخة الصعق، ونفخة البعث،
وقال هذا هو ظاهر النصوص، كقوله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً
وَّاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿١١﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ
﴿٥٦﴾ قَالُوا يَا بُولَلَتْنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ

(1) في الملائكة المقربين، ص: 156.

(2) حديث الصور، أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص: 325 وهو ضعيف.

الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ [يس: 49 . 52].

وقوله ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾ هذه هي النفخة الأولى، وقوله ﴿وَيُفِيخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ هذه هي النفخة الثانية، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦١﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٦٢﴾﴾ هما النفختان الأولى والثانية.

ويمكن الجمع بين الفزع والصعق، وجعلها نفخة واحدة، ولكنها تبدأ بالفزع وتنتهي بالصعق، مع وجود مسافة زمنية تفصل بين بدايتها ونهايتها، أي أن الله يأمر إسرافيل بالنفخ، فينفخ نفخة إفزاع يطولها ويمدها لا يفتر (وهو ما يعني استمرار النفخ بلا انقطاع) فيما الناس في العذاب يشاهدون أحداث الزلزلة إلى أن يأمر الله بنفخة الصعق الأشد قوة وهولاً، فيموت لشدتها كل من في السماوات والأرض إلا من شاء الله⁽¹⁾.

وقد ذكر النبي ﷺ صاحب الصور بدون أن يسميه، وأنه التقم الصور بانتظار أن يؤمر في حديث أبي سعيد ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ؟» قالوا: يا رسول الله، كيف نقول؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وعلى الله توكلنا»⁽²⁾.

وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما

(1) اليوم الآخر، للصلاحي، ص: 88.

(2) سنن الترمذي رقم 2548، السلسلة الصحيحة (3/ 67).

طرف⁽¹⁾ صاحب الصور مذ وكّل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريتان⁽²⁾.

10 . قيامهم برعاية أهل الجنة ونعيمهم :

وكّل الله ﷻ بالجنة ملائكة يعمرونها ويغرسونها ويعملون أنهارها ويعدون لأهلها ما أمرهم الله به وهؤلاء هم خزنتها والخزنة جمع خازن مثل حفظة وحافظ، وهو المؤمن على الشيء الذي قد استحفظه⁽³⁾، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هؤلاء الخزنة في كتابه فقال سبحانه: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَقُحَّتْ آبُوتُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ فَلَبِسُوا فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: 73].

فهم يتلقون المؤمنين بالتحية الأولى التي حيوا بها أباهم آدم ﷻ وهي السلام، وهؤلاء الخزنة يدخلون على المؤمنين الجنة ويسلمون عليهم كما قال تعالى: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ يَوْمَ تَبْرَأُونَ فَمَنْ عَقِبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: 23 - 24].

وأول من يفتح له الخزنة باب الجنة نبينا محمد ﷺ كما جاء في الأحاديث الصحيحة منها حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن:

(1) الطرف: إطباق الجفن على الجفن.

(2) الفتح (11 / 368)، السلسلة الصحيحة (3 / 65).

(3) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم، ص: 87.

من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك»⁽¹⁾.

قال ابن كثير: وتدخل الملائكة عليهم من هاهنا ومن هاهنا بالتهنئة بدخول الجنة فعند دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلمين مهنيين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام والإقامة في دار السلام في جوار الصادقين والأنبياء والرسل الكرام⁽²⁾.

11 - خزنة النار:

قال تعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَعَرَ ۗ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَعَرٌ ۗ لَّا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ ۗ لَوَآئِمٌ مِّنْهُ لِيَبْتَلِيَ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۗ﴾ [المذثر: 26 . 30].

فهؤلاء التسعة عشر هم خزنة جهنم العظام ومعهم من الملائكة خلق لا يحصيهم إلا الله ولذلك عقب بقوله: ﴿وَمَا يَفْلَهُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المذثر: 31].

وأعظم هؤلاء الخزنة مالك عليه السلام، وقد تقدم، وقد وصف الله تعالى هؤلاء الملائكة بصفات عظيمة تملأ النفوس خوفاً ومهابة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۗ﴾ [التخريم: 6]⁽³⁾.

(1) مسلم (1/ 97. 188) ك الإيمان.

(2) تفسير ابن كثير (2/ 510).

(3) في الملائكة المقربين، ص: 151.

أي: طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة، شداد
أي: تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج⁽¹⁾.

كما أن خزنة النار تتلقى الكافرين وتبشرهم بالنار وتلومهم
على عدم طاعة الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ
يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا
قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا كَفَرْتُمْ مَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ [الزمر: 71-72].

وقال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْقَيْظِ كُلَّمَا أَلْتَمَسْنَا لَهَا مَخْرَجًا مِّنْهَا
وَجَاءَتْهَا آتَةٌ بِآيَاتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨١﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ
مِن سَمَاءٍ إِنْ أَنشَأْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٨٢﴾ [الملك: 8 . 9].

وأهل النار والعياذ بالله ينادون الخزنة أن يشفعوا لهم عند الله
لتخفيف ما هم فيه من العذاب، فيجيبونهم بلومهم على ما فرطوا في
الحياة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِ جَهَنَّمَ ادْعُوا
رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَوْلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ
رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي
ضَلَالٍ ﴿٨٢﴾ [غافر: 49 . 50].

وقال تعالى: ﴿وَنَادُوا بِمَنَّاكَ لِيَقْضِ عَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنكُوتُونَ
﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَذِبُونَ ﴿٧٨﴾ [الزخرف: 77 .

[78].

(1) في الملائكة المقربين، ص: 151، تفسير ابن كثير (4/ 391).

وهؤلاء الملائكة بهم من القوة والعظمة ما يجعلهم يدخلون النار ويخرجون منها ويعذبون أهلها وهم سالمون من هذا العذاب العظيم، بل ثبت أنهم يجرونها يوم القيامة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك، فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»⁽¹⁾.

ثانياً: أعمال الملائكة المتعلقة بالكون:

إن أعمال الملائكة ووظائفهم لا تقتصر على تلك الأعمال المتعلقة بالإنسان بل إنهم يقومون بأعمال كثيرة تتصل بالكون وما فيه من أشياء وأحداث، فمنهم من يحمل عرش الرحمن، ومنهم الموكل بسوق السحاب إلى حيث يشاء الله، ومنهم الموكل بالجبال، إلى غير ذلك من الأعمال التي يقومون بها تنفيذاً لأقدار الله تعالى في الخلق، يقول ابن القيم: فكل حركة في السماوات والأرض من حركات الأفلاك والنجوم والشمس والقمر والرياح والسحاب والنبات والحيوان فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿فَالْمُدْرِيَاتُ أَمْرًا﴾ [النَّازِعَات: 5] ، وقال: ﴿فَالْمَقْسِيَاتُ أَمْرًا﴾ [الذَّارِيَات: 4]، وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل ﷺ، وأما المكذبون بالرسول المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم⁽²⁾.

(1) في الملائكة المقربين، ص: 152.

(2) إغانة اللفهان، لابن القيم، ص: 125.

ولا يعني هذا أن للملائكة فعلاً مستقلاً عن الله تعالى، بل إن الفعل فعل الله والخلق خلقه، وليست الملائكة شركاء لله في فعله، وما يقومون به إنما هو بعلم الله تعالى، وإرادته ﷻ وقدرته، فالقرآن يخبرنا بأن الملائكة يتوفون الناس، ولكن الله ﷻ منه الإحياء والإماتة والفعل كله، ووفقاً لهذا فينبغي أن نعلم ونؤمن: أن الملائكة لا تملك للإنسان نفعاً ولا ضرراً، ومن ثم لا يجوز للإنسان أن يطلب منها ذلك أو يدعوها لجلب نفع أو دفع ضرر، بل الدعاء والتوجه والطلب لا يكون إلا لله وحده وقد أخبرنا القرآن الكريم بأن الملائكة لا شفاعة لها إلا بإذن الله ورضاه. إذ أن الخلق كله والفعل كله والأمر كله لله وحده، قال تعالى: ﴿وَكَرَّمْنَا مَلَائِكَةَ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُفْنِي سَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٣٦﴾﴾ [النجم: 26].

وقد يثار السؤال لماذا عهد الله إلى الملائكة بهذه المهمات الجسيمة المتعددة مع أن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؟ للإجابة على ذلك يمكن القول: بأن ذلك ليس إلا مظهراً لسلطان الله وعظيم ملكه، وإظهاراً لقدرته المعنوية في مظهر حسي يتلائم مع تصور الإنسان والمألوف في حياته⁽¹⁾.

ومعلوم أن بالبداية أن الله ﷻ وهو الذي خلق هؤلاء الملائكة وأولاهم هذه الطاقة، غير محتاج إلى وساطتهم وسبببتهم في شيء ولكن شاء الله ﷻ أن يظهر سلطانه وقوته لعباده بالشكل

(1) كبرى اليقينيات، للبوطي، ص: 278.

الذي ألقوه في حياتهم، وتعودته أخيلتهم وأفكارهم⁽¹⁾، كما يظهر هذا الخلق من خلال الأسباب التي ربط الله بينها وبين المسببات.

وقد يقال أيضاً: أليس في الإيمان بهذا الدور الذي تقوم به الملائكة منافاة لما يقوله العلم الحديث من وجود قوانين ونواميس كونية تضبط هذا الوجود؟ وللإجابة على ذلك يمكن القول: بأن هذه القوانين والأسباب هي من مخلوقات الله تعالى، والملائكة موكلة بها أيضاً وموكلة برعايتها كما ترى المخلوقات الأخرى⁽²⁾.

ومن أعمال الملائكة في الكون:

1 - حملة العرش:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: 7].

وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة: 17].

ودلت الآيات الكريمة: على أن الملائكة من جملة خلقه يحملون عرشه وآخرون يكونون حوله وعلى أنه يوم القيامة يحمله ثمانية، إما ثمانية أملاك وإما ثمانية أصناف وصفوف⁽³⁾.

(1) كبرى اليقنيات، للبطوي، ص: 292.

(2) الإيمان، محمد نعيم ياسين، ص: 46.

(3) في الملائكة المقربين، ص: 144.

2 - الموكلون بالسحاب والقطر :

قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ مَا تَرَ جُرَّتٍ وَجُرًّا ۖ فَالْمَلَائِكَةُ ذِكْرًا ﴿٣﴾﴾ [الصفات: 1 . 3].

ورد في تفسير هذه الآيات الكريمات أن هذه الصفات من صفات الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأن الله اقتسم بالملائكة الصفات بين يديه ﷻ وبالملائكة التي تزجر السحاب وتسوقه إلى حيث أمرها الله وبالملائكة التي تنزل بالقرآن والكتب من عند الله سبحانه⁽¹⁾.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: «ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله»، فقالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع؟ قال: «زجره السحاب إذا زجره حيث ينتهي إلى حيث أمر». قالوا: صدقت الحديث⁽²⁾.

وهذا الحديث إنما يفيد أن للسحاب ملائكة يسوقونه وأن هذا الصوت الذي يسمع قد يكون صوت هذه الملائكة وقد يكون اصطكاك السحاب، ولا يدل والله أعلم على تسمية الملك الموكل بالسحاب باسم الرعد وقد صح أن الملك الموكل بالقطر هو ميكائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ومعه أعوان يعملون ما يأمرهم به⁽³⁾.

(1) تفسير ابن كثير (4 / 2).

(2) سنن الترمذي (4 / 257) رقم 5121، السلسلة للألباني رقم 1872.

(3) في الملائكة المقربين، ص: 54.

قال ابن كثير: ميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق في هذه الدار وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل وعلا⁽¹⁾، وحديث ميكائيل وأنه موكل بالسحاب أقوى من حديث ابن عباس في تسمية الموكل بالسحاب رعداً⁽²⁾، فقد احتج ابن كثير على إثبات عمل ميكائيل عليه السلام بحديث ابن عباس رضي الله عنه. وفيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام على أي شيء ميكائيل فقال: على النبات والقطر⁽³⁾، فميكائيل عليه السلام هو الموكل بذلك والله أعلم ومعه أعوان من الملائكة ينفذون أمره⁽⁴⁾.

ومن أعجب ما يروى في ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة⁽⁵⁾ من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هو ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثلثه وأكل أنا

(1) البداية والنهاية (1/ 41).

(2) في الملائكة المقربين، ص: 54.

(3) رواه ابن أبي شيبة، ك العرش رقم 75 إسناده صحيح بشواهد.

(4) مسلم (4/ 2288) رقم 2984.

(5) في الملائكة المقربين، ص: 154، 155.

وعياي ثلثاً وأرد فيها ثلثه»⁽¹⁾.

وفي هذا الحديث إثبات الملائكة الموكلين بالسحاب، وأنهم يسوقونه ويأمرونه ويكلمونه وربما كان الكلام الذي سمعه الرجل كلام الملائكة بعضهم لبعض، ثم ساقه الملك الموكل بهذه السحابة وفيه فضل الصدقة عن المساكين والمحتاجين حيث عوض الله المتصدق وأرسل ملائكته يسوقون السحاب ليسقي أرضه جزاءً على صدقته وإحسانه إلى الفقير وإلى أهل بيته⁽²⁾.

3 . ملك الجبال :

تقدم الحديث في صفات الملائكة أن الله ﷻ أرسل ملك الجبال ليطبق على أهل مكة الأخشبين إذا أمره النبي ﷺ بذلك⁽³⁾، وفي هذا دليل على أن للجبال ملائكة موكلون بها، وفيه كذلك دليل على ضخامة خلق هؤلاء الملائكة الموكلين بالجبال، فكون ملك واحد يستطيع أن يطبق جبلين على أهل مكة يعني: أنه من الضخامة والقوة بحيث أصبح إطباق الجبلين عنده أمر هين ينفذه فور موافقة النبي ﷺ على ذلك، ومن فضل الله على هذه الأمة أن بعث لها نبينا ﷺ وهو الرحمة المهداة⁽⁴⁾، وقد ذكر الله ذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَجِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

(1) في الملائكة المقربين، ص: 154.

(2) المصدر نفسه، ص: 154. 155.

(3) البخاري رقم 3059، مسلم رقم 1795.

(4) في الملائكة المقربين، ص: 155.

4 . الملائكة الحافة بمكة والمدينة :

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق»⁽¹⁾، وفي حديث تميم الداري رضي الله عنه وهو حديث الجساسة المشهورة، قال: إني أنا المسيح وأنا أوشك أن يأذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليّ كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة . أو احدة . منها استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدني عنها وإن عليّ كل نقب منها ملائكة يحرسونها⁽²⁾.

5 الملائكة الموكلة بالشام :

الشام بلاد مباركة كما قال تعالى: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِيْٓ اَسْرٰى بِعَبْدِهٖٓ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا الَّذِيْ بَنٰرَكُنَا حَوْلَهٗ لِزِيْرِهٖٓ مِنْ اَيْنٰنًا اِنَّهُمْ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيْرُ ﴿١١﴾﴾ [الإسراء: 1].

فإلى مسجدها الأقصى أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم فاجتمع بالأنبياء عليهم السلام وأمهم، ومنه عرج مع جبريل إلى السماء، وقصة الإسراء والمعراج معروفة والقصد التنبيه على فضل المكان، ومما يدل على فضلها أن مسجدها أحد المساجد الثلاثة التي تشد لها الرحال، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول

(1) البخاري رقم 1782.

(2) رواه مسلم (4/ 2261) رقم 2942.

الله ﷺ يقول: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا»⁽¹⁾.

ومما يدل على فضل الشام أن الملائكة باسطة أجنحتها عليه كما جاء ذلك في حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى للشام إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه»⁽²⁾.

ثالثاً: قيامهم بأعمال أخرى وبعض الفوائد:

قد لخص ابن القيم أهم أعمال الملائكة فقال: فإنهم موكلون بتخليقه "أي الإنسان" ونقله من طور إلى طور، وتطويره وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث وكتابة رزقه وعمله، وأجله وسعاده، وشقاوته، وملازمته في جميع أحواله وإحصاء أفعاله وأعماله، وحفظه في حياته، وقبض روحه عند وفاته، وعرضها على خالقه وفاطره، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ وبعد البعث، وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب، وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله والمعلمون له ما ينفعه والمقاتلون الذابون عنه، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة وهم الذين يعدونه بالخير ويدعونهم إليه، وينهونه عن الشر ويحذرونه منه، فهم أولياؤه وأنصاره وحفظته، ومعلموه وناصره، والداعون إليه، والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه مادام في طاعة ربه ويصلون عليه مادام يعلم الناس الخير، ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه، وعند موته ويوم بعثه، وهم الذين يزهّدونه في الدنيا

(1) مسلم (2/ 976) رقم 827.

(2) السلسلة الصحيحة (2/ 5) أطلال الألباني البحث فيه وخلص لتصحيحه.

ويرغبونه في الآخرة، وهم الذين يُذكرونه إذا نسي ويُنشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع، وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عبادَه، تنزل عنده بالأمر من عنده في أقطار العالم، وتصعد إليه بالأمر⁽¹⁾.

ومن وظائف الملائكة القيام بأعمال أخرى يأمرهم الله بها، ورد ذكرها في القرآن الكريم دون بيان تفصيلي عنها:

كقوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝۱﴾ ﴿وَالرَّجِرَاتِ زَجْرًا ۝۲﴾ ﴿وَالنَّازِجَاتِ نَزْجًا ۝۳﴾ [الصفات: 1 . 3].

وقال تعالى: ﴿وَالذَّارِبَاتِ ذَرًّا ۝۱﴾ ﴿وَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝۲﴾ ﴿وَالجَّارِيَاتِ جُرًّا ۝۳﴾ ﴿وَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا ۝۴﴾ [الذاريات: 1 . 4].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝۱﴾ ﴿وَالعَصْفَاتِ عَصْفًا ۝۲﴾ ﴿وَالنَّشِيرَاتِ شِيرًا ۝۳﴾ ﴿وَالفَرَقَاتِ قَرَفًا ۝۴﴾ ﴿وَالْمُلَيِّنَاتِ ذَكْرًا ۝۵﴾ [المرسلات: 1 . 5]⁽²⁾.

ومن الأعمال الأخرى:

1 - إهلاك الأمم المكذبة:

ومن المهام المنوطة بالملائكة، إنزالهم للعذاب الشديد، وإهلاك الأمم المكذبة للرسول بأمر الله تعالى، وقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۝۱۳﴾ [يونس:

[13].

(1) إغاثة اللفهان (2/ 125-126).

(2) على قول أنها من الملائكة.

. وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوا فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [يونس: 73].

. وقال تعالى: ﴿وَجَازَيْنَا بِحَيِّ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجَحُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَاقًّا إِذَا أَدْرَكَهُ الْفِرْقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90].

روى ابن جرير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «لما قال فرعون لا إله إلا الله، جعل جبريل يحشو في فيه الطين والتراب»، وفي رواية أخرى قال: «لما أغرق الله فرعون قال: أمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنو إسرائيل، قال جبريل: يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حمأة البحر وأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة»⁽¹⁾.

وفي إهلاك قوم لوط يقول جل ذكره: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ يَوْمٍ وَسَاءَ يَوْمٍ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٦﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَوِرُ هُنَاكَ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعَاذٌ مَّا رُبِدْ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ كُنْتُ إِكْرَمًا لَكَ سَدِيدٌ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْبَسْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكًّا إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ

(1) سنن الترمذي رقم 3107 حديث حسن غريب صحيح وهذا الحديث بطريقة رواه ثقات ليس فيهم من هو سعي الحفظ.

يَقْرَبُ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَائِلَهَا وَأَنْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُورٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنْ الظَّالِمِينَ يَبْعِدُ ﴿٨٣﴾ [هود: 77 . 83] (١).

2 - تبليغ النبي ﷺ بسلام أمته:

. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥١﴾ [الأحزاب: 56].

. وقال ﷺ: «من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً» (٢)، وقد حذر ﷺ من ترك الصلاة عليه فقال: «إن البخيل من ذكرت عنده ولم يصل علي» (٣).

. ومن شرف النبي ﷺ فقد وكل الله ﷻ بالصلاة عليه ملائكة سياحة يطوفون في الأرض يبلغون النبي ﷺ صلاة أمته عليه كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمي السلام» (٤).

. وقال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبليغي حيث كتتم» (٥).

إن الله ﷻ قد وكل بالصلاة على النبي ﷺ ملائكة يبلغونه إياه

(1) أصول الاعتقاد في سورة يونس، قذلة القحطاني، ص: 199.

(2) مسلم (1/ 306) رقم 70 باب الصلاة على النبي.

(3) سنن الترمذي (5/ 211) رقم 3614 حسن غريب صحيح.

(4) صحيح الجامع (2/ 234)، جلاء الإفهام لابن القيم، ص: 24.

(5) صحيح الجامع (6/ 132)، رقم 7103.

في البرزخ، فينبغي على المسلم أن يحرص على الصلاة على النبي ﷺ بالصيغ الشرعية الصحيحة ويعلم أنها معروضة على النبي ﷺ⁽¹⁾.

3. حملهم التابوت لبني إسرائيل :

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 248].

يخبر تعالى أنه قد ملك طالوت على بني إسرائيل لكنهم لم يرضوا ملكه كعادتهم في معصية أوامر الله والتكبر عليها بحجة أنه لم يكن من بيت الملك، وليس من أهل الأموال، وقد جعل الله من الآيات على صدق هذا الملك أن يأتيهم التابوت ويقال فيه علم بني إسرائيل، جاءت الملائكة تحمله بين السماء والأرض حتى وضعت بين يدي طالوت والناس ينظرون⁽²⁾، وكان هذا تطميناً لهم وتثبيتاً كي يعلموا أن طالوت مختار من الله تعالى، فيتابعونه ويطيعونه⁽³⁾.

4. نزول عيسى عليه السلام بصحبة ملكين :

إن نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان من آيات الساعة العظمى التي يؤمن بها المسلمون، وقد دل ذلك الكتاب والسنة :

- (1) الملائكة المقربين، ص: 199.
- (2) تفسير ابن كثير (1 / 300-303).
- (3) عالم الملائكة الأبرار، للأشقر، ص: 66.

قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: 157 . 159]، فهذه الآيات، كما أنها تدل على أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام ولم يصلبوه، بل رفعه الله إلى السماء، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ نَبِيٍّ مُبَارَكٌ إِنِّي كَلِمَةٌ أَنْزَلْتُهَا إِلَى ابْنِ مَرْيَمَ فَخَلَّتْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ فَصَلَّبَ عَلَيْهِمْ صَلْبًا مَعْرُوفًا وَمُتَّعَهُمْ فِيهِ بِأَنْعَامٍ خَالِدَةٍ وَيُؤْتِيهِمْ فِيهَا مِنْ لَدُنَّا وَكَلَّمَهُ بِنُورٍ وَإِذْ يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ الْمُهَيْمِنُونَ إِذْ يَحْكُمُونَ فِي الْيَوْمِ الْكَبِيرِ﴾ [آل عمران: 55] فإنها تدل على أن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى عليه السلام آخر الزمان، وذلك عند نزوله، وقبل موته، كما جاءت بذلك الأحاديث المتواترة الصحيحة⁽¹⁾.

وعيسى عليه السلام ينزل آخر الزمان واضعاً يده على ملكين كريمين كما جاء ذلك في الحديث الطويل الذي رواه النواس بن سمعان، وفيه: فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين⁽²⁾، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين⁽³⁾.

5. تظليل الملائكة على الشهيد:

ومنها إظلالهم لجنائز الصحابي الجليل عبد الله بن حرام الأنصاري رضي الله عنه قال البخاري رحمته الله: باب ظل الملائكة على الشهيد.

(1) أشراط الساعة ليوסף الوابل، ص: 349.

(2) مهرودتين: ثوبين مصبوغين بورس.

(3) مسلم على شرح النووي (18 / 63).

وساق بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: جيء بأبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد مثل به ووضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه فنهاني قومي وسمعت صوت نائحة فقيل ابنة عمرو. أو أخت عمرو. فقال: «لم تبك أو لا تبكي، ما زالت الملائكة تظللها بأجنحتها»⁽¹⁾.

6 . شفاعتهم لأهل الإيمان :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين»⁽²⁾.

7 . نزولهم عند تلاوة القرآن :

ليستمعوا له كما حصل مع الصحابي الجليل أسيد بن حضير رضي الله عنه⁽³⁾.

8 . حضورهم مجالس الذكر :

وحفهم الذاكرين الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: «لا يقعدن قوم يذكرون الله تعالى، إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»⁽⁴⁾.

9 . شهود الملائكة لجنازة الصالحين :

استشهد سعد بن معاذ الأنصاري في غزوة الخندق بعدما

(1) البخاري رقم 1244.

(2) مسلم (1 / 167)، رقم 183.

(3) البخاري رقم 5018.

(4) مسلم رقم 2700.

انفجر جرحه ونقله قومه فاحتملوه إلى بني عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول الله ﷺ فقال: «انطلقوا» فخرج معه الصحابة، وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالهم وسقطت أرديتهم، فشكا إليه أصحابه ذلك، فقال النبي ﷺ: «إني أخاف أن تسبقني الملائكة فتغسله كما غسلت حنظلة»، فانتهى إلى البيت وهو يغسل وأمه تبكي وتقول:

وَيْلَ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدًا حَزَامَةً وَجَدًا

فقال: «كل نائحة تكذب إلا أم سعد»، ثم خرج به قال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول الله، ميتاً أخف علينا منه، قال: «وما يمنعه أن يخف وقد هبط من الملائكة كذا وكذا ولم يهبطوا قط قبل يومهم، قد حملوه معكم»⁽¹⁾.

وقد جاء في النسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما عدد الملائكة الذين شاركوا في تشييع جنازة سعد فقد قال ﷺ: «هذا العبد الصالح الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك، لقد ضُمَّ ضمة ثم أفرج عنه»⁽²⁾، يعني: سعداً.

10. أسماء الملائكة وحكم التسمي بها:

أخبرنا - تبارك وتعالى - عن بعض أسماء ملائكته في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجَهَنَّمَ فَاَتْتَمَّتْ إِلَى اللَّهِ عَدُوًّا لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 98]. وعرض ابن القيم لحكم تسمي

(1) سيرة ابن هشام (3 / 264)، الألباني في الصحيح رقم 1158.

(2) سير أعلام النبلاء (1 / 95)، إسناده صحيح.

بني آدم بأسماء الملائكة فقال: يكره تسمية الأدميين بأسماء الملائكة: كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، قال أشهب: سئل مالك عن التسمي بأسماء الملائكة وهو قول الحارث بن مسكين قال: وكره مالك التسمي بجبريل وياسين، وأباح ذلك غيره، قال عبد الرزاق في الجامع عن معمر قال: قلت لحماد بن أبي سليمان: كيف تقول في رجل تسمى بجبريل وميكائيل؟ فقال: لا بأس به⁽¹⁾.

11 . عداوة اليهود لبعض الملائكة :

تحدث ابن القيم عن عداوة اليهود لجبريل عليه السلام، فقال: وقالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم: من صاحبك الذي يأتيك من الملائكة؟ فإنه ليس من نبي إلا يأتيه ملك بالخبر؟ قال: «هو جبريل» قالوا: ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال، ذاك عدونا، لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالنبات والقطر والرحمة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: 97-98]⁽²⁾.

(1) واحة الإيمان عند ابن القيم (2) للأشقر، ص: 68.

(2) المصدر نفسه، ص: 82.